نظام الاستخبارات السائد في المؤسسة الحربية للدولة الآشورية الحديثة (911-612 ق.م)

د. أحمد شبابيبي([1])

الملخص

يتناول هذا البحث نظام الاستخبارات ووسائل الاتصال المُتَّبعة ضمن المؤسسة الحربية في عصر الدولة الآشورية الحديثة ، إذ حظيت تلك الطرق والوسائل بمتابعةٍ حثيثةٍ من قبل الملوك الآشوريين وحُكَّام المقاطعات والمدن والأمراء وقادة الجيش الآشوري على حدٍ سواء. لما لها من أهميةٍ ودورٍ كبيرٍ في التخطيط العسكري للجيش الآشوري حينها ، سواء في الإعداد للحملات الحربية خارج حدود الدولة والسيطرة على أراضٍ ومدن جديدة ، وتحقيق عنصر المُباغتة والمفاجأة على قوات الخصم ، وبالتالي النجاح في كسب المعركة والوصول إلى الأهداف المنشودة منها لصالحهم. أو الوقوف على ما يجري من أحداث ونشاطات غير معلنة في المقاطعات المجاورة و المتاخمة لحدود الدولة الآشورية، والمدن ، والحصون، والتي يمكن أن تؤثر على زعزعة الاستقرار والسلام داخل وخارج الدولة الآشورية.

الكلمات المفتاحية: الجيش الآشوري ، الاستخبارات ، قنوات الاتصال ، رّب دَيَّالُو.

(1) دكتور وباحث في تاريخ الشرق القديم ، دمشق ، سورية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث كونهُ يلقي الضوء على أهم التخصصات والفروع التي نشأت ضمن الهيكل الأساسي للجيش الآشوري الحديث ألا وهو نظام الاتصالات والبريد والذي يقابله في عصرنا الحالي سلاح الإشارة المُتبع في الجيوش الحديثة في أيامنا هذه. ومن هنا تنبع أهمية موضوع بحثنا هذا فهو يعد من الدراسات المُهمة فيما يتعلق بالمؤسسة العسكرية الآشورية وتطورها ووصولها إلى مرحلة القوة في عصرها الحديث.

إشكالية البحث:

إلقاء ضوء على البدايات الأولى لظهور هذه المؤسسة، وماهي طبيعة المهام والأعمال الموكلة لأفرادها الجيش الآشوري. ؟ وكيفية جمع المعلومات من المقاطعات والمدن الآشورية وإعادة تقييمها، ومن ثم التأكد من صحتها وأهميتها لكونها قد تشكل خطراً على استقرار الدولة وسيادتها، وهل كانت هناك إجراءات مضادة يتم تفعيلها من قبل القائمين على قسم الاتصالات للحيلولة دون وقوع اضطراباتٍ داخليةٍ مفاجأة أو أعمالٍ عدائيةٍ مخلة بالأمن تنال من وحدة واستقرار الدولة الآشورية الحديثة في ذلك الحين...؟.

منهجية البحث:

اتبع البحث المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي للنصوص المسمارية للوصول إلى النتائج المرجوة، بالإضافة إلى ذكر المصادر الأساسية.

المقدمة:

يعد العصر الآشوري الحديث عصر الازدهار السياسي والحضاري للدولة الأشورية، إذ غد الآشوريون في القرن السابع قبل الميلاد سادة منطقة الشرق الأدنى القديم، فقد بلغ الآشوريون من القوة العسكرية درجة مكنَّتهم من السيطرة على حياة الشرق الأدنى القديم طوال هذه القرون الثلاثة. كما كان لقيام الإمبراطورية الآشورية في منطقة المشرق العربي القديم ونهضتها خلال العصر الآشوري الحديث عوامل عديدة هيأت الظروف اللازمة لنموَّها وتعاظُمها وازدهار حضارتها؛ إذ إنَّ ما حققهُ الآشوريون من انتصارات عسكرية متلاحقة ونمو متزايد في القوة لم يكن طارئاً أو مُفاجئاً أملتهُ أحداث عابرة أو قوة عسكرية مؤقتة، بل لابُدَّ وأنهُ كانت وراء ذلك عوامل عديدة اسهمت جميعها في نهضة الآشوريين. وإحدى هذه العوامل هي قوة الجيش الآشوري وتنظيمه[1]. و يعد هذا العامل الأهم من بين عوامل نهضة الآشوريين ، فقد كان لحجم التحديات الكثيرة والكبيرة لزاماً على الآشوريين أن يعملوا جاهدين من أجل تثبيت أركان إمبراطوريتهم وحماية حدودهم

[1] الياس سلطان ،عبد العزيز: "عوامل أساسية أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية"_، مجلة دراسات موصلية العدد(29) أيار ،2010م ،ص80.

لمواجهة التحديات والقضاء على الأخطار التي تُهدد كيانهم السياسي وذلك من خلال تجهيز الحملات الحربية المتتالية على مختلف الجبهات ومواجهة الأخطار حتى لا يكاد يخلو زمن أي ملك آشوري حكم خلال هذا العصر من قيامه بحملة عسكرية أو أكثر إلى الحدود الخارجية لإخضاع المتمردين. وإجهاض مكامن الخطر والتحديات إلى درجة طغت الناحية العسكرية على حياة الدولة الآشورية عامة[1].

أولاً: بداية تاريخ نشاط نظام الاستخبارات الآشوري:

يعود تاريخ نشاط نظام الاتصالات ونقل المعلومات الآشوري على الأقل إلى الفترة الآشورية القديمة أي:

(العصر الآشوري القديم) [2]، إذ تم العثور على رسائل عديدة تعود إلى عهدَّي كلاً من الملكَيْن الآشوريَّين:

(شمشي–أدد الأول)(šamši–Adad I( )1776–1809ق.م) ، وابنهُ (إشمي–داجان)

(Išme–Dagan) (1775–1748ق.م) والتي تُشيرُ إلى أنَّ نشاط الاستخبارات كان جُزءاً لا غنى عنهُ من الحرب النفسية في العصر الآشوري القديم [3]. كما أنَّ قلة المصادر في عصر الدولة الآشورية في العصر الوسيط تُقيد قُدرتنا لتقييم نشاطات الاستخبارات الآشورية بدقة لهذه الفترة بشكلٍ منظم ، غير أنَّ هناك عدد كبير من تقارير الاستخبارات المكتشفة في مدينتَّي (دور شروكين) و(نينوى) تُقدمُ صورةً أفضل بكثير لتقييم نشاط الاستخبارات الآشورية خلال عصر الدولة الآشورية في العصر الحديث خصوصاً في عهد السلالة السرجونية (721–612ق.م). واستناداً إلى الرسائل التي ترد من الخطوط الأمامية للدولة الآشورية أي جبهة (الدولة الأورارتية/Urarţian) ، حيثُ يُشير الباحث (أُولمستد)(A.T) Olmstead ، بأنَّ الملك سرجون الثاني: (721–705ق.م) كان لديه جهاز استخبارات فعال بدأ بالظهور مع بداية حكمه [4]. ويُقدم الباحث (R.Follet) دراسة أولية لجهاز الاستخبارات الآشورية طبقاً إلى تقارير الاستخبارات من حدود دولة (أورارتو) المُتاخمة لحدود الدولة الآشورية من الشمال [5]. كذلك يُناقش الباحث (ساكز)(H.W.F) تعريف محتويات تقارير الاستخبارات الآشورية [6]. حيث يقول بشكل حرفي: " إنَّ الاستخبارات يمكن أن تُعرَّفَ كمعلومات قيَّمة

(1) سليمان ، عامر: الجيش والسلاح في العصر الآشوري ، دار الحرية للطباعة، بغداد 1988م ،ص261.

(2) يُقسم التاريخ الآشوري اعتباراً من بداية الألف الثاني قبل الميلاد وحتى سقوط المملكة الآشورية على يد الميديين عام 612ق.م إلى ثلاثة عصور هي:
أ-العصر الآشوري القديم(1960-1400ق.م) ، ب- العصر الآشوري الوسيط(1400-1000ق.م) ، ت-العصر الآشوري الحديث(900-612ق.م). أنظر:قابلو ، جباغ و سمير ، عماد: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين-سوريا-مصر) ، منشورات جامعة دمشق 2007-2008م ، ص89.

(4).Sasson J.M, The Military Establishment at Mari,Rome: pontifical Biblical Institute,(studia poh1 3),1969,pp39-41.

(1) - Olmstead A.T.,History of Assyria,Chicago and London: The University of Chicago press,1925, reprint in 1975,258ff.

(2)-Follet,Deuxiéme bureau et information diplomatique dans L'Assyrie des Sargonides quelques notes, RSO 32(1957),pp61-81.

(3)- Saggs-H.W.F.,The Might That Was Assyria,London: Sidwick and Jackson,1984,ff256 .

وثمينة ، لذا فالمعلومات الخاطئة أو الناقصة قد تُسبب وتؤدي إلى كارثة بشكل واضح. ونتيجةً لذلك ، ليس كافياً تلك المعلومات القديمة المُتبقية والموجودة في الملفات الحكومية ، لأنَّ مثل هذه المعلومات يجب أن تُترجم وتُفسر بشكل صحيح من قبل أشخاص مناسبين في الوقت المناسب". وبعد مرحلة جمع الاستخبارات تأتي مرحلة تحليلها ، ثم بعد ذلك هناك مرحلة تقييم هذه المعلومات ، وبعدها تأتي مُهمةَ الاستخبارات المّضادة التي تشكل بدورها إجراءات دفاعية ووقائية على حد سواء. وسوف نتطرَّقُ لهذه المراحل الأربعة للاستخبارات خلال هذا البحث [1].

ثانياً: المهام والوظائف الموكلة إلى أفراد نظام الاستخبارات:

تعد المهمة الأساسية لهذا النظام استطلاع أمر العدو وتحركاته وقوة جيشه وخططه العسكرية ، ويُختار لهذه المهمة العسكرية مجموعة من الجند الشجعان وذوي الخبرة والممارسة. وكان الشخص الذي يقوم بهذا الواجب يُعرف باللغة الأكدية باسم(ديالُو)(dyalu) ولهذه المجموعة آمرٌ أو رئيس يُعرف باسم (رَب- ديَّالي)(rab-dayali) وربما يُقابل في الوقت الحاضر منصب (رئيس الاستخبارات العسكرية) [2]. وكانت هذه المجموعة من الجند على اتصال دائم بقوات الجيش لتلقي الأوامر والتعليمات منهم مباشرةً والإيعاز بتنفيذها دون تأخير ، و كانت تتمثل مهمتهم في جمع المعلومات من حُكَّام المقاطعات الحدودية والحُلفاء والتُجار والمُراسلين والدبلوماسيين ومن المارَّة وغيرهم ، وكانوا يتنقلونَ من منطقة لأخرى ويتوزَّعونَ على الطرق والمرتفعات والمسالك والممرات الجبلية وغيرها ، ومن واجباتهم أيضاً مُرافقة الجيش كأدَّلاء ليُدَّلوهم على الطرق ، فضلاً عن قيامهم بحراسة الطرق والمنافذ الأخرى. وقد ورد ذكر الجنود الأدلاء والعيون في الكثير من كتابات الملوك نقتطفُ بعض العبارات التي وردت في كتابات الملك الآشوري (آشور ناصر بال الثاني)(884-858ق.م) حيثُ يقول:

" كنتُ أتنَّقلُ من مدينة لأخرى وأَقْضي في كل مدينة ما بين يوم أو ليلة ثم أستأنفُ السير بعد التأكدَ من سلامة الطريق" [3]. وهذا يعني أنَّهُ كان يأمرُ بإرسال العيون والعسس للاستطلاع قبل أن يغادرَ المنطقة والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة الأراضي التي كان يمُرُّ بها الجيش ، فالأراضي الجبلية أحياناً كانت تحجُبُ الرؤية ، فضلاً عن كثرة الوديان العميقة والمسالك الضيقة التي تتخللها ، وهذا ما يستوجب حينها إرسال الاستخبارات والعيون للاستطلاع. ومن الواجبات المهمة المُلقاة على عاتق هذا الصنف هو كشف الكمائن والدوريات المُعادية وتعقُبَها ، ومواقع العدو وتقدير قوتهُ واقتفاء آثاره وتحركاته. وكان صنف الاستخبارات العسكرية يعمل بصورة متواصلة وبسرية وحذر ويقظة ، ومن المُرجح أنهم كانوا ينقلونَ الأخبار إلى الوحدات العسكرية أو إلى آمر الوحدة أو إلى رئيس الاستخبارات ليقومَ بدوره بإخبار الملك بذلك. فالملك الآشوري سرجون الثاني(721-705ق.م) ، كان في خدمتهِ ضابط يرتبطُ به مباشرةً وهو المدعو (آشور-

([4])-See:Intelligence and Counter-intellignece,in: Encyclopaedia Britannica, Vol.21,Chicago:Encyclopaedia Britannica,Inc.,1985,pp717.

(5)- عبد الله ، يوسف الخلف: "الجيش والسلاح في العصر الآشوري الحديث" ، رسالة ماجستير منشورة ، بغداد 1977م ،ص282-285.

(6) Grayson-A.K. , Assyrian Royal Inscriptions ,Vol.II, W.Germany,1976, pp129

ريشو)(Aššur–rešu) حيث كانت مهمتهُ تزويد الملك بجميع الأخبار والمعلومات عن حُكَّام المقاطعات والولايات التابعة لهُ ، وعن الخطط العسكرية للجيوش المُعادية وقطعات الجيش من حيثُ النوع والكم وذلك لدرء الأخطار قبل وقوعها وضرب العُصاة داخل الإمبراطورية الآشورية وخارجها[1] وقد تم استخدام عناصر الاستخبارات المُكلفينَ برصد وجمع تحركات العدو بكثرة في حالة السلم والحرب ، ويُعتقد أنهُ كانت هناك إشارات معينة أو كلمة سر تُستخدمُ بينهم وبين مسؤوليهم لفهم مضمون الأخبار ، وبعضهم كان يحملُ الرسائل السرية الخاصة ، أو ما نُسميه اليوم (سري وشخصي) سواء التي يبعثُها الملك أو التي يرسلها الحكام والمسؤولون ، ومن خلال دراسة بعض النصوص المسمارية الخاصة بالملوك يتضح لنا أنَّ الملوك الآشوريين كانوا حريصينَ أشدَّ الحرص على توفير الأمن لقطعاتهم العسكرية ، وذلك من خلال إحاطة حركتها بالكتمان والعملَ على حجب حقيقة توجهاتها عن الأعداء ، كما كانوا يقومونَ بجمع أكبر المعلومات الممكنة عن الأعداء لكي تُساعدهم هذه المعلومات على تجنب المخاطر ورسم أدَّق الخطط العسكرية. ولا عجب في ذلك إذ إنَّ السلطة الآشورية كان هدُفها إشاعة الأمن والقضاء على الفتن والمؤامرات في أرجاء الإمبراطورية المترامية الأطراف و التي كانت قد أحدقت بها الأخطار والتحديات من كل جانب. وثمَّةَ أصناف أخرى تعد أيضاً من الصنوف المُساعدة ، وهي صنف الشرطة أو جهاز الشرطة الذي كان يقوم بحفظ النظام والأمن داخل الإمبراطورية مثل حراسة أسوار المدن وبواباتها ، ومراقبة الوافدين. أي أنَّ واجبهم الرئيسي هو الاهتمام بشؤون الأمن والاستقرار في الإمبراطورية الآشورية ومُلاحقة اللصوص والهاربين وغيرهم ممن يَخُلّونَ بالأمن الداخلي للدولة. ويتولى مهمة الإشراف على جهاز الشرطة شخص برتبة: (رَب–ريدي–كبسي/rab–redi–kibsi) ولربما يُقابل هذا المنصب في الوقت الحاضر (مدير الشرطة العام) [2].

ثالثاً: جمع المعلومات من خلال رسائل الأرشيف الآشوري:

إنَّ جمع المعلومات يمثلُ الأرضية الأساسية لنشاط رجال الاستخبارات، كما أنَّ كفاءة نشاطات الاستخبارات تعتمدُ على درجة كبيرة من الدقة. كما أنَّ جمع الاستخبارات لهُ صلة مباشرة بقنوات جمع الاستخبارات حيث عمل الآشوريون على استخدام جميع أنواع المصادر وتبنَّوا قنوات متنوعة لجمع الاستخبارات. وإجمالاً ، فقد جاءت المعلومات الآشورية بشكل أساسي وبالدرجة الأولى من نوعَيْن اثنين من القنوات هما : العلنية والسرية.

1–القنوات العلنية:

إنَّ أكثر المعلومات الاستخباراتية في الحقيقة تأتي من المصادر العلنية ، وبمعنى آخر ، من المصادر سهلةُ الوصول إليها من دون اللجوء إلى الطرق غير الشرعية أو غير القانونية. إنَّ مُعظم المعلومات الاستخباراتية الآشورية كانت قد

[2] خليل إسماعيل ، بهيجة: "الجيش في العصر الآشوري"، موسوعة الموصل الحضارية ،ج1 ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ط1 ، 1991م ص287-288.

[2] عبد الله ، يوسف الخلف: الجيش والسلاح في العصر الآشوري الحديث ، ص60-67.

اشتُقَّت من القنوات العلنية ، مثل جمع المعلومات المتعلقة بنشاطات الأعداء ، كاستجواب الأفراد العائدين من بلاد العدو ، كذلك جمع استخبارات الاستطلاع المتراكمة من قبل الموظفين الدبلوماسيين ، واستجواب الهاربين والأسرى من بلاد العدو. وكان على مسؤولي الجيش وأفراد الحاميات ، أن يكونوا متواجدينَ على الخطوط الأمامية ، وهذا ما يُمكنُهم من الحصول على الاستخبارات مباشرةً أو من المصدر الأصلي بسبب قربهم من خطوط العدو. وهذا ما تؤكدهُ بشكلٍ جيد الرسالة ،(16) AOS 6 المكتوبة من قبل نابو بيل شوماتي حاكم مدينة سيلاند (وهي مدينة غير محددة بشكل دقيق و من المحتمل أنها تقع بالقرب من حدود الدولة الآشورية الشرقية) إلى الملك الآشوري (آشور بانيبال)(Ashur banipal) (668–627ق.م) :" إلى الملك ،سيدي ، خادمُكَ نابو–بيل–شومَت (Nabû–bēl–šumate): الصحة الجيدة للملك ،سيدي ! إنَّ الآلهة آشور ، نابو ومردوك(Aššur–Nabû–Marduk) يُباركونَ الملك ،سيدي: السعادة والصحة ، وطول الأيام(طول العمر) يمنحوها إلى الملك ، سيدي! كما سمعتُ ، فإنَّ ملك عيلام يمرُ بصعوبات شديدة والعديد من المدن تمردَّت و ثارت ضدَّهُ".([1]) و كان جزءاً من الاستخبارات الآشورية يأتي من أفراد يعودونَ من بلاد العدو. ففي الرسالة المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري رقم (SAA I 32) من (سنحريب)(ولي العهد) ، يُخبرُ الملك الآشوري (سرجون الثاني) ، عن هزيمة دولة أورارتو(Urarţian)[2] وظروف أخرى وذلك عن طريق استجواب أحد أفراد قبيلة (Itu ' ean) [3] العائد من أورارتو: حيث يقول:

" إلى الملك ،سيدي : خادمُكَ سنحريب(Senncherib). الصحة الجيدة للملك ، سيدي! أرجو أن تكون الدولة الآشورية بخير ، والمعابد بخير ، وجميع حصون الملك بخير ، الملك ، سيدي ، يمكن أن يكون مسروراً حقاً.[....] إنَّ (Itu' ean) [....] الذي [....] من مدينة (إشتاخوب) (Išta ḫup) [4] قد جاءني لتوهِ الآن من [....] أورارتو. سألتهُ عن أورارتو أو (الأورارتيين) وهو أخبرني:

" أنَّ الأورارتيين و[زعماؤهم قد هُزموا] في حملتهم [ضدَّ] (السيميريين) [5] ، وهم كانوا خائفين كثيراً من الملك ،سيدي. ارتعدوا وارتجفوا والتزموا الصمت مثل النساء ، ولا أحد [....] إنَّ حصون الملك ، سيدي. إنَّ الحالة أو الوضع هو جيد

---

[1] (إنَّ النصوص الواردة في هذا البحث لم ترد بصيغتها الأصلية في المرجع المعتمد وإنَّما هي ترجمة حرفية لما ورد من نصوص فيه).

[2])Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire, in Journal of Assyrian Academic studies ,Vol.18,no.2,2004.pp60-61

[3] (Itu ' ean): وهي قبيلة آرامية تسيطر على الضفة الغربية لنهر دجلة خلال عهد الإمبراطورية الآشورية الحديثة. وكان ملوك الإمبراطورية الآشورية الحديثة من عهد الملك توكولتي-ننورتا الثاني(890-884ق.م) إلى عهد تجلات بلاصر الثالث(745-727ق.م) قد حاربوا آنذاك مع قبيلة (Itu'eans). كما أنَّ أفراد من هذه القبيلة خدموا ضمن الإمبراطورية الآشورية كوحدات من المشاة الدائمة وقد وزعوا على الحُكام الإقليميين ليعملوا كشرطة عسكرية وليقضوا على الاضطرابات. للمزيد ينظر: Postgate J..N..,, (Itu',Itu' āyu)in RIA,Vol.5.221

[4] -(إشتاخوب) (Išta ḫup) وهي مدينة أورارتية.

[5]-وهي من القبائل الهندو-أوربية التي اندفعت من جنوب روسيا (أوكرانيا اليوم) وعبرت عبر جبال القوقاز واستقرت في آسيا الصغرى وبلاد الأناضول في القرن الثامن قبل الميلاد ،أنظر: الصالحي: صلاح رشيد: القبائل السيميرية والاسكثية ، الردع الآشوري والأخميني ضد القبائل الهندو-أوربية ، الكتاب العلمي السنوي لمركز إحياء التراث العلمي العربي ، العدد 2، ، جامعة بغداد 2010-2011م ص170-220.

جداً.(بالنسبة إلى) الأخبار من أورارتو ، [....] رحيل [....] رسول ملك المانيين [1] (Mannean) [....]." وعلى الرغم من أنَّ الدولة الآشورية كان لديها علاقات عدائية مع دول أخرى ، إلا أنها لم تقطع العلاقات الدبلوماسية بالكامل. حيث أحياناً ، كان يتم إرسال موظفين دبلوماسيين للتعامل مع الحوادث التي تقع على الحدود. وهؤلاء الأفراد كانوا يحصلونَ على معلومات عن العدو بشكل متواصل من خلال الحوادث والقضايا التي كان يتمُ إرسالهم إليها لمعالجتها. وفي الرسالة المنشورة في الأرشيف الملكي الآشوري رقم (SAA V 2) ، وهي من (Lip–ḫur–Bel) الحاكم الآشوري في مقاطعة (أميدي)(Amidi) ، إلى الملك الآشوري سرجون الثاني ، والتي تُمثل عملية جمع الاستخبارات من قبل الموظفين الدبلوماسيين الآشوريين:

" إلى الملك ، سيدي: خادمُكَ (Lipḫur–Bel). الصحة الجيدة للملك ، سيدي![أرض الملك بخير] ، الحصون بخير. الملك ،سيدي ، يمكن أن يكون مسروراً. بالنسبة إلى الأخبار القادمة من الأورارتيين ، رسولي الذي أرسلتهُ إلى حاكمهم المُقابل لي ، عادَ ، هو تكلَّمَ معهُ كملك ، سيدي ، كتب لي، يقول:

" لماذا تستولي على حصوننا بينما نحن في سلام؟" هو قال: " ماذا يجب عليَّ أن أعمل؟ إذا أنا تجاوزتُ أو تعدَّيتُ على أرضكَ وحصونكَ ، اطلُبني أو استدعني للحساب"." قواتهُ مجتمعةٌ معهُ ، وهو يستمرُ بالمراقبة في مدينة (حاردا)(Harda). هذه كانت الأخبار عنهم".([2])

كما أنَّ الهاربينَ من العدو ، الذين أرادوا اللجوء إلى الدولة الآشورية ، زوَّدوا الدولة الآشورية بمعلومات ثمينة أيضاً. وكان الآشوريون يُبدونَ الاهتمام والرعاية الكبيرَيْن إلى هؤلاء الهاربين قبل كل شيء لمساهمتهم الأمنية من وجهة نظرهم. ومثال على طبيعة هذه المعلومات المُكتسبة من هؤلاء اللاجئين هي موضحة في الرسالة التالية رقم:

(AOS 6 15) من الضابط الآشوري(آشور–أُشاليم) (Aššur– ušallim) في بلاد بابل إلى الملك الآشوري أسرحدون(Esarhaddon)(680–669ق.م) ، التي توثق كيف قام الآشوريون بجمع الاستخبارات باستجواب الهاربين:

" إلى الملك ، سيدي ، خادمُكَ (آشور–أُشاليم)(Aššur–Ušallim) : الصحة الجيدة للملك ،سيدي. ربما (آشور ، شمش ، بيل ، نابو ، نرجال ، لاس ، إشوم ، أدد ، وبير) ، الآلهة العظيمة للسماء والأرض ، تُبارِكُ كثيراً ، تُبارِكُ حتى ألف مرة الملك سيدي ، ولي العهد في الدولة الآشورية ، ولي العهد في الدولة البابلية. فيما يتعلق بالحاميات رُكزَّت في القلاع

[1]-(المانيين): وهم قبائل قدمت من الشمال (واستقرت شمال شرق الدولة الآشورية إلى الجنوب من بحيرة أورميا وأنشأت لها مملكة صغيرة هناك) أنظر: سليمان ، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد (العصر الحديث)" ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ط1 ، 1991م ص105-106.

([2]) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire , p.62

الواقعة في أورارتو(Urarṭu) ، بين المانيين(Manna) ، بين الميديين (Medes) [1] (و) الخوبشكيا(ḫubškia) [2] ، الذين كتب الملك سيدي بخصوصهم نتيجة ذلك:

" يطلبُ إليهم الملك ، أن يُجابههم معهُ بوضوح: هم لا يجب أن يُهملوا استمرارهم في مراقبتهم وعليهم أن يُعطوا انتباههم إلى الهاربين حولهم. طالما الهارب من المانيين ، الميديين أو الهوبُشكيا يفرونَ أكثرهم إليهم ، هو سيُرسلُ إلى ولي العهد. الآن إذا كان هناك تقرير في فمه ، (يُخبرهُ): " أنتَ ستتكلم بأسلوب ودي مع ولي العهد ، أنتَ ستنقل(؟) إليه المعلومات الآتية من جانبك". إنَّ كاتباً من (المانيين)..... سيكون حاضراً عندما هو يتكلم ليكتب (معلوماته) منه شخصياً، دع(أخو–دور–إنشي) (Ahu–dur–enši) ، الضابط العامل لدى ولي العهد ، يُرسلُ (هو) بسرعة لي بالجنود." الآن هناك هاربان من المانيين هربا إلينا ، الضابط وأحد الخصيان وهناك معلوماتٍ بحوزتهما أي (يحملون أخباراً معهما) ، أنا سأُرسلَهُما إلى ولي العهد".([3])

وكان الهاربونَ أحياناً يلتمسونَ اللجوء إلى الدول والمدن والمقاطعات الحدودية. وعندما كانوا يعبرونَ ويجتازونَ من خلال تلك الدول والمقاطعات والولايات في طريقهم إلى الدولة الآشورية ، حيث كانوا سيُسلَّمونَ بواسطة المراسلين الآشوريين. ومثال على ذلك الرسالة رقم (SAA V 35:1–30) المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري وهي من:

(ša–Aššur–dubbu) ، الحاكم الآشوري في (توشخان)(Tušḫan) ، إلى سرجون الثاني ، تُبين محاولة لتسليم الهاربين من (šubria) ، وهي مقاطعة في المنطقة الشمالية الغربية من الدولة الآشورية:

" إلى الملك ،سيدي : خادمُكَ (ša–Aššur–dubbu). أفضل الصحة للملك ، سيدي! [الحصون ، وأراضي الملك ، سيدي ، بخير.الملك ، سيدي ، يمكن أن تكون مسروراً [....][.....] رسولي[....] [....] هم مكثوا [....] لهُ [.....] [....] أياماً [.....] هم جاؤوا [....] كانوا ظلوا يخدمونَ [....] الآن ذلك رسولي أراد من (الهارب) أن يُغادر ، هم حموهُ بالغابة و[....] أنا سألت حاكم (šubria) : " لماذا تقبضُ على الهارب من ملك أورارتو والذي هرب إلى الدولة الآشورية ، وتبقيهم في المدينة؟ لماذا تحمي هارباً ولا تُعطيه إلينا ؟ " كانت إجابتهُ": " أخافُ وأخشى الآلهة". إنَّ قائد (الكشافة) لدولة أورارتو (دخلَ) [البلدة أو المدينة]. مع خمسين من البغال. حيث أخذوا البغال منهُ ، ووضعوا القيود الحديدية إلى

[1] (الميديون): وهم مجموعة من القبائل الآرية التي استقرت وراء الحاجز الجبلي الممتد من بلاد الرافدين وعيلام وورد اسمهم في النصوص المسمارية (Meda) ، وقاد الملوك الآشوريون ضدهم سلسلة من الحملات العسكرية. أنظر: باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج1 ،ط2 ، دار الوراق للنشر ، بيروت 2009م ،ص389.

[2] الخوبشكيا(ḫubškia):وهم مجموعة من القبائل التي استقرت في شمال شرق الدولة الآشورية (إلى الشرق من بحيرة أورميا) أنظر: قابلو ، جباغ:" التنافس الآشوري الأورارتي للسيادة على الشرق القديم خلال النصف الأول من القرن التاسع والقرن الثامن ق.م "، مجلة دراسات تاريخية، العددان 71-72 ، كانون الثاني-حزيران ، دمشق2000م ،ص62.

([3]) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire , p.63.

ذراعيه وأقدامه و أعادوهُ إلى [أورارتو]. وأنا كتبتُ لهُ: " بأنَّكَ لست خائفاً من الآلهة ، (أنت) ترغبُ بالبغال من أورارتو".([1])

وكان استجواب الأسرى طريقة مهمة ومفيدة لجمع المعلومات الاستخباراتية. وهناك اقتباس من رسالة مُجزأة وهي:

(AOS 6 23: 1–23) ، والتي تتعلق بهجوم مضاد على مقربة من مدينة أوروك (Uruk) حيث تُبين بشكل واضح كيف جمع الآشوريون المعلومات الاستخباراتية بواسطة استجواب الأسرى:

" إنَّ (بوكودو)(pukudu) بعد أن جاء إلى جوار مدينة أوروك ، جلب معهُ عشرة أشخاص ، من جوار (تلك المدينة). عندما زحفتُ مرةً أخرى ضدهم ، حيث قمتُ باستدارة عدد منهم ، وبعد أن أسرتُ قائد القوات ، أنا سألتهُ :" من أرسلك؟ هو أجاب : (ساحدو)(Sahdu) ، شقيق (نابو–أُشزيب)(Nabu–ušzib) ، أرسلنا بهذا الأمر :" اذهبوا وأْسُروا رجل من جوار مدينة أوروك (Uruk) بالرتبة (ليس أي رجل يقصد وإنما يريدُ شخصاً ذو دراية كافية) التي قد تُمكنهُ من الإجابة على سؤالي كم هو عديد قوات الدولة الآشورية التي جُمعت هناك ، وما هو هدفهم". [(2)]

2– القنوات السرية:

كان للجواسيس دورٌ فعَّالٌ في نشاطات الاستخبارات السرية، وكان المسؤولون الآشوريون من الحاكم إلى المندوب أو الموفد الملكي ، أو مُنادي القصر ، كان لديهم جواسيسهم الخاصون [(3)]. وكان رؤساء هؤلاء الجواسيس تحت سيطرة هؤلاء المسؤولين الذين يُدعونَ(راب–ديَّالو) (rab–dayālu) ، الذين أداروا من المحتمل نشاطات الجواسيس.

استأجر الآشوريون أيضاً أشخاصاً من الدول والمقاطعات والولايات التابعة للخدمة كجواسيس. إنَّ الرسالة رقم :

(SAA V 105) وهي من مسؤول آشوري إلى الملك ، يسألُ الملك مراجعة وتدقيق عمل (الكومميين) المُبعدين أو المنفيين في مدينة دور–شروكين(Dur–šarruken) لأنَّ جواسيس (الكومميين)(Kummean) يتم استئجارهم واستخدامهم في أورارتو:

" إلى الملك ، سيدي: خادمُكَ [xx]. الصحة الجيدة للملك ، سيدي! بالنسبة إلى الملك ،سيدي ، كتب لي في الأمر المُصادق عليه ،أنا و(إيشار–دوري)(Issar–duri) ، الحارس الملكي أخبرناهم بتعليماتك وتركناهم يسمعونَ الأمر المُصادق الذي جاء فيما يخُصَّهم. يقولون:" الملك ، سيدنا ، هو سيد الجميع ، ماذا يمكن أن نقول؟ الملك ، سيدنا ، قد يأخذ كل (الكومميين) المنفيين في بلدان أخرى عندما يحين الوقت الملائم". ولكن الجواسيس (الكومميين) الذين غادروا

([1])Ibid , 63.
(1)-Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp64.
(2)-SAA I,30,SAA V 3,12,13,24,40,83,85,87,91,215,246.

من(كوميين) (Kummean)(وهي منطقة غير محددة بشكل دقيق إلا أنها تقع من المحتمل إلى الشمال الشرقي من آشور) ليتم استخدامهم أو استئجارهم لم يعودوا لحد الآن إلا أنهم ما زالوا هناك!. الملك ، سيدي ، ينبغي عليه أن يُحقق فيه: لربما هم أصبحوا منفيين أيضاً). الملك ، سيدي ، يجب أن يُعيدُهم إلى (Kummean). الملك سيدي ، يعرفُ بأنَّهم مطلوبونَ في أورارتو ، وفي الدولة الآشورية أيضاً ليتمَ استئجارهم (فقط). ([1])

وهناك إحدى المهام المهمة التي أُعطيت إلى هؤلاء الجواسيس كانت في إرسالهم إلى بلاد العدو لجمع الاستخبارات. وكان يتم إرسال الجواسيس الآشوريين غالباً إلى أورارتو لهذا الغرض. وعمل الجواسيس الآشوريون بشكل جيد جداً حيث إنهم استطاعوا الدخول حتى إلى العاصمة الأورارتية(توروشبا) (Turušpâ). ومثال على ذلك ما جاء في الرسالة المُتجزأة رقم: (SAA V 85) المنشورة في الأرشيف الرسمي للدولة الآشورية ، وهي من(آشور–ريصوا)

(Aššur–reṣuwa) المندوب الملكي الآشوري في (Kummean) ، إلى سرجون الثاني ، والتي تُبيَّن طبيعة التجسس أو الاستطلاع الذي وقعَ على عاتق الآشوريين في عاصمة الأورارتيين (Turušpâ):

" إلى الملك ، سيدي: خادمُكَ (Aššur–reṣuwa). الصحة الجيدة للملك ، سيدي! بالنسبة إلى الملك ، سيدي ، كتب لي: " أرسل كشَّافيكَ إلى ضواحي (Turušpâ) ، دعهم يتعلَّموا إرسال تقرير مُفصَّل".! أربعة حُكَّام يأتونَ إلى [Turušpâ] للخدمة في المعبد.(يقومونَ بالخدمة في المعبد). والمهمة الأخرى كانت أسر أو القبض على (المُخبر)

(شا–ليشانو)(ša lišānu) [(2)] . وهذا كان الطريق المباشر أو الطريقة المباشرة للآشوريين للحصول على استخبارات دقيقة في الوقت المناسب. وأحياناً كان الجواسيس الآشوريون يختفون ويكمنونَ في الطريق المباشر لمراسلين العدو بالترتيب ليتمكنوا منهم والإيقاع بهم. إنَّ الرسالة المتجزأة المنشورة في الأرشيف الرسمي للدولة الآشورية رقم:

(SAA V 55) وهي من(آشور–دور–بانيا) (Aššur–dur–paniya) الحاكم الآشوري لمدينة (šabirešu) ، يُبلغ سرجون الثاني ، كيف كمنَ الجواسيس الآشوريون للمُخبر الأورارتي(ša lišānu) في الجبل:

" إلى الملك ، سيدي ، [خادمُكَ] (Aššur–dur–paniya). الصحة الجيدة للملك ، سيدي! كشَّافتي في الجبل أسَروا أو قبضوا على المخبر الذي كان يُسافرُ من(أرجيستياني) (Argistiani) إلى(أريه) (Ariye) وحتى الجبل. وأنا سألتهُ عن [أخبار الأورارتيين] (Urarṭian) ، وهو أخبرني .....("[3])

([1]) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp64.

(1) (شا-ليشانو)(ša lišānu): وهو شخص (مأسور) قادر على إعطاء المعلومات ،أنظر.CAD Ls.v Lišānu,241

([3]) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp65.

هذه الأخبار من المُخبرين ، هذه المعلومات التي تتعلق بمجموعة مرتبة من المخبرين. حيث بعض الآشوريين جمعوا الاستخبارات تحت الادعاء المُزيَّف والكاذب وهوَ الاشتغال ومزاولة العمل في التجارة ، كما يُصورُ ذلك بشكل واضح في الرسالة المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري رقم: (AOS 6 34) ، من(مردوك-ناسير) (Marduk-nasir) المسؤول الآشوري إلى الوزير:

" خادمُكَ(Marduk-nasir). هل لي أن آتي إلى الوزير سيدي؟. ربما (Anu) و(Ishtar)(آنو وعشتار)(الإلهَيْن) يُباركان الوزير سيدي. هذه رسالتي إلى الوزير سيدي. في الثالث عشر من(تموز) (Tammuz) هناك قافلة غادرت من مدينة(لوخيرو) (Luḫiru). أبناء (Ina-ešti-etir) ، ابن(سولولو) (Sululu) ، جلبوا صوفاً من(بيت-إمبيا) (-Bit). Imbiaهم ذكروا مايلي:

" في الوقت الحاضر مراقب القصر وقوات عيلام العليا جميعهم في (bit-Imbia). و تم عبورهم من معبر النهر." أنا أرسلتُ (هذه المعلومات) إلى الوزير سيدي ، ربما سيدي يُقدمُ تقريرهُ في القصر. القوات يجب أن تكون مُركَّزة أغلبُها ضدهم في (دير) [1] ، (لتبقى هناك) حتى يُنجزَ ويُحقق الملك أُمنيتهُ"([2])

رابعاً: كيفية نقل المعلومات الآشورية:

منذ تغيُّر حالة العدو بسرعة ، كانت الاستخبارات في حينها ، وخصوصاً تلك التي تتطَّلب وتستلزم انتباه واهتمام مستعجل ، حيث يتم جمعُها ، وعندها يجب إبلاغ صانع القرار أو القائد الميداني (قائد الجيش) في ذلك الوقت ، وإلا فإنَّ قيمة هذه الاستخبارات الدقيقة والمفيدة قد تصبح لا قيمة لها ومهملة. لذا ، فإنَّ اتصال الاستخبارات هي صلة وصل رئيسية في نشاطات الاستخبارات. وقد عرف الآشوريون جيداً أهمية اتصال ونقل الاستخبارات. إنَّ الاتصال السريع للاستخبارات من قبل الآشوريين هو يظهر على نحو جيد في جزء من الرسالة المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري رقم: (SAA I 29:1-21) ، من سنحريب ولي العهد ، إلى الملك الآشوري سرجون الثاني:

" إلى الملك ، سيدي: [خادمُكَ] سنحريب. الصحة الجيدة للملك ، سيدي! [الآشوريون بخير ، [المعابد بخير] ، جميع [حصون الملك] بخير. الملك ، سيدي ، يمكن أن يكون مسروراً في الحقيقة.

هم يعملون على [الحصن] في (Kummu) ،[عملهم].... [....]. هناك رسول من [أريجي][Ariji] جاء عندها لمُقابلتي بالرسالة التالية:

[1] - وهي منطقة تقع عند الحدود العراقية الإيرانية الحالية قرب (بدرة) وكانت مركز استطلاع للمملكة الآشورية في ذلك الوقت للمزيد ينظر:
Brinkman,J.A. "Elamite Military Aid to Merodach Baladan" in JENS 24.No.3.
Chicago.1965.pp161.

([2]) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp65.

" كتب [حاكم] (Uruk) إلى ملك أورارتو بأنَّ [حُكَّام] الملك الآشوري هم يُشيّدونَ [حصناً في كومو(Kumme)] ، وقد [أعطى] ملك أورارتو حُكَّامهُ التعليمات التالية: " خذ قواتك ، واذهب واقبض على حُكَّام الملك الآشوري أحياءاً من بلاد (الكوميين) ، واجلبوهم لي". أنا لا أملكُ التفاصيل الكاملة لحد الآن ، حالما أسمعُ أكثر ، أنا سأكتبُ رسالةً عاجلةً إلى ولي العهد بأنَّهُ يجب عليكم أن تدفعوا وترسلوا بالقوات لي".([1])

في هذه الرسالة ، أرسلَ سنحريب تقريراً مُستعجلاً ل(أريج)(Arij) ، حاكم (Kumme) ، تتعلق بهجوم الأورارتيين ، بينما ظلَّ الحكام الآشوريين المشغولونَ بتشييد الحصن في (Kumme). إنَّ حاكم (Ukku) خانَ وغدرَ بالدولة الآشورية وكشف أو أفشى النشاطات الآشورية إلى ملك أورارتو. لقد قررَ ملك أورارتو أخذ زمام المبادرة واستغلال إهمال الآشوريين الحذر (أي اتخاذ الإجراءات الوقائية) ، وأرادَ إلقاء القبض على الحُكَّام الآشوريين أحياءاً [(2)].

وعندما تلَّقى (Arij) هذه المعلومات ، قام باتخاذ خطوتَيْن على الأقل لضمان إيصال هذه المعلومات في الحال:

إحدى الإجراءات كانت بأنَّهُ أرسلَ المعلومات إلى سنحريب مباشرةً بدلاً من انتظار التفاصيل الكاملة ، والإجراء الآخر كان بأن أرسلَ تلك المعلومات كاملةً سريعاً.

الخطوة الأولى في ضمان تلك المعلومات المهمة هو إيصالها ونقلها بسرعة ، كما هي موضحة بشكل جيد في الرسالة المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري رقم: (SAA V 87) ، من (Aššur–reṣuwa) المندوب الملكي في (Kummean) ، إلى الملك والتي تتعلق بتركيز وتحشيد قوات أورارتو في (Waisi):

" إلى الملك ، سيدي: خادمُكَ (Aššur–reṣuwa). الصحة الجيدة للملك ،[سيدي] ![خمسة] حُكَّام من [أورارتو] اقتحموا (Waisi):(سيتينو)(Setinu) ، الحاكم المُعارض لنا ،(كاقادانو) (Kaqqadanu) أحد المُعارضينَ في (Ukkeans)، (ساكواتا)(Sakuatâ) حاكم (قانيون)(Qaniun) ، (سيب ليا)(Sip lia) حاكم (Alzi) ، (Tuki) حاكم (أيميراليو)(Aemiraliu) : هذه هي أسماؤهم. هم اقتحموا (Waisi) مع ثلاثة من قادة وحدات الجيش ، الآن ، وبعد وصولهم ، هم جمعوا رسوم وضرائب من البلاد ، وأبقوا الجيش في الاستعداد. انتقل الملك من (Turušpâ) وغادر إلى (وازاون)(Wazaun). وبالنسبة إلى الملك سيدي ، كتب لي: " أرسل الجواسيس" أنا أرسلتُهم مرتيَّن: المجموعة الأولى عادت وأخبرتني بهذه الأشياء ، والآخرون لم يعودوا لغاية الآن".([3])

([1]) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp.66.

(2) Ibid , p.67.

([3]) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp.67 ,68.

إنَّ نظام الاتصال الكفء كان ذو دور فعَّال إذ أنَّ المعلومات كان يتم نقلها بأسلوب وطريقة سريعة ومناسبة. كما أنَّ المعلومات ، مثل الأشخاص والبضائع ، يمكن أن يتم نقلها من أحد أجزاء الدولة الآشورية إلى آخر خلال شبكة من الطرق. إنَّ الأهمية النسبية للإدارة الآشورية فرضت تطوير نظام اتصال فعَّال يمكن أن يكون مُقدراً ومُقاساً بالمناسبة بتطور نظام شبكة الطريق. إضافةً إلى شبكة الطرق التجارية القديمة والمحلية كان هناك طريق سريع يُدعى (بطريق الملك) (خول– شاري)(ḫūl šarri) ، يتم من خلاله عبور الإمبراطورية الآشورية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب. وهناك نقاط أو فواصل منتظمة ودورية على هذا الطريق السريع كانت قد حصَّنت محطات الطريق التي كانت تخدم وتعمل كأماكن استراحة للجيش الملكي وتُشكل (نقاط تقوية أو تبديل) للمراسلين الإمبراطوريين. وكانت كل محطة من هذه المحطات يجب أن تحتوي و أن يتوافر فيها مجموعة من البغال النشيطة والجديدة ، بالإضافة إلى عربة وسائق. إنَّ عبور الرسل يتم من خلال تبادل فريقهم المُتعب (تبديل الفريق المُتعب). ونتيجة لذلك كان يجب أن يكون قادراً على مواصلة السفر بأقصى سرعة وبدون توقف. وبواسطة نظام التبديل هذا ، كان بإمكان المُراسلين العسكريين والإداريين أن يُسرعوا من العاصمة إلى أي جزء من أجزاء الإمبراطورية والعكس بالعكس في بضعة أيام [1].

خامساً: تقييم وتحليل المعلومات المجموعة:

عند جمع المعلومات كان يجب أن تُقيَّم (أي يتم مُراجعتها وتدقيقها). فالتقييم ضروري بسبب التنوع المختلف والواسع للمصادر ، فالعديد منها مشكوكٌ في ثقتها. لقد اتخذَّ الآشوريون عدة إجراءات للتأكد والتثبت من ثقة تقارير الاستخبارات. وفي بعض الرسائل ، كان المُرسل يذكرُ دائماً بأنَّ الملك أَمرهم لإرسال تقرير مُفصَّل. إنَّهُ من الواضح بأنَّ الملك أراد معرفة التفاصيل الكاملة. لذا هو يمكن من خلال ذلك أن يُقيَّمَ الحقيقة وقيمة المعلومات. وهذا مُبيَّن بشكل جيد في الرسالة المُتجزأة المنشورة في الأرشيف الآشوري الرسمي رقم:

(SAA V 128) من (Nabû–le'i) حاكم (بيراتي)(Birate) إلى الملك:

" إلى الملك ، سيدي:[خادمُكَ] (Nabû–le'i). الصحة الجيدة للملك ، [سيدي]! الحصون جيدة ، أراضي الملك بخير ، بالنسبة إلى أمر الملك ، سيدي، الذي أعطاني إياه: " أرسل رسولك إلى [Birate] وأرسل إليَّ تقريراً مُفصَّل حول [أورارتو]"!.([2])

[1]- أنظر:.SAA I,xii-xiv.K.Kesser ، حيثُ يُشَّكك الباحث(كيسير)(Kesser) في ثقة ووصف الباحث (سيمو باربولا)(Simo parpola) حول نظام الطريق الآشوري آنذاك. أنظر:

K.Kesser, Royal Roads and other questions of the Neo-Assyrian Communication system, in S.Parpola and R.M.Whiting (Hrsg),Assyria 1995.proceedings of the 10th Anniversary Symposium of the Neo-Assyrian Texts corpus project, Helsinki: Helsinki University press,1997,129-136.

([2])Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp. 68.

وهناك طريقة أخرى لتقييم الاستخبارات التي حصل عليها الآشوريون من خلال مقارنة هذه المعلومات من مصادر مختلفة. ففي الرسالة رقم:(SAA I 31) ، وهي من سنحريب ، ولي العهد ، إلى سرجون الثاني ، هناك ثلاثة تقارير كاملة أُرسلت فيما يخصُ هزيمة أورارتو من عدة مُرسلينَ مختلفين على الرغم من أنَّ محتويات التقارير الثلاثة كانت مُتشابهةً ونفسها تقريباً:

" إلى الملك ، سيدي: خادمُكَ (Sin-aḫḫe-riba)(سين-أخ-ريبا). الصحة الجيدة للملك ، سيدي ! الآشوريون بخير ، جميع حصون الملك بخير. الملك ، سيدي ، يمكن أن أو باستطاعته أن يكون مسروراً في الحقيقة. إنَّ (Ukkaean) أرسل لي(هذه الرسالة):

" إنَّ قوات الملك الأورارتي قد هُزمت تماماً في حملتها ضدَّ السيميريين ، وهناك أحد عشرَ من حُكَّامه كانوا قد أُبيدوا وتم القضاء عليهم [مع] قواتهم ، قائدهُ الأعلى (أي القائد العام للحملة العسكرية) واثنَيْن من حكَّامه [تم أخذهما أسرى]. هو [نفسهُ] جاء لأخذ [الطريق إلى] جاء[....حُكَّام] بلاده[....] تم وضعهم[في.....].[هذا] كان تقرير (Ukkaean)". إنَّ (Aššur-reṣuwa) كتب نتيجة ذلك مايلي:

" إنَّ التقرير السابق الذي أرسلتهُ أنا عن الأورارتيين كان بأنهم تعرضوا لهزيمة قاسية.

الآن بلادهُ هادئة ثانيةً وكل من قواده غادر إلى مُقاطعته. وكان عندها (Kaqqadanu) ، قائدهُ الأعلى للجيش قد أُخذَ أسيراً ، إنَّ ملك أورارتو هو الآن في مقاطعة (Wazanu)". [1]

وهذه رسالة من سنحريب ، ولي العهد المُفترض في مدينة نينوى ، كتبَ إلى سرجون الثاني ، والدهُ ، الذي ربما غادر العاصمة وحاربَ في مكان آخر. إنَّ ولي العهد يُبلغ الملك بالاستخبارات التي تمَّ جمعُها من خلال المصادر المختلفة. وهي:أ-المدن والولايات التابعة. ب-المندوب الملكي. ت-والحُكَّام الآشوريين.

إنَّ الأفكار الرئيسية للتقارير الثلاثة التي كان هو قد بعث بها كانت تقريباً مُتشابهةً. وعلى أية حال ، لم يكن عمل ولي العهد إرسال التقارير الكاملة الثلاثة ، لكنهُ أبلغَ أو أشارَ أيضاً إلى أنَّ حاميات الحصون على طول الحدود كانت قد أرسلت تقارير مماثلة. إنَّ الغرض والهدف الرئيسي لولي العهد كان من الممكن إظهار وعرض تلك المعلومات للملك والمُتعلقة بهزيمة أورارتو كانت موثوقة.

كما أنَّ إصدار ونشر المعلومات الخاطئة والمُزيَّفة أو نشر الإشاعات كانت طريقةً كفءَ لتشويش وإرباك المُعارضينَ والخصوم. فأعداء الدولة الآشورية ، مثل أورارتو ، من الممكن أنها طبَّقت هذا التكتيك أو الوسيلة لتشويش وإرباك نشاطات الاستخبارات الآشورية. ولكون الآشوريين لم يكن لديهم طريقة للتحقق والتأكُد من صحة الإشاعة ، كانوا عندها

(1) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp67-69

يُرسلونَ جواسيسهم للتأكد و التحقُق من صدقها. وهذا يظهر على نحو جيد في الرسالة المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري رقم: (SAA V،246) ، وهي من (بيل–إموراني)(Bel–emuranni) حاكم الآشوريين ، إلى الملك الآشوري سرجون الثاني: "إلى الملك ، سيدي: خادمُكَ (Bel–emuranni). الصحة الجيدة للملك ، سيدي! بالنسبة إلى إثارة الإشاعة. هناك كلام حول الملك ، سيدي ، كتب لي ، أنا أرسلتُ الكشَّافينَ لكنهم لم يعودوا لغاية الآن. بينما أنا أنتظرهم ، [أنا أُقدم] [للملك] ،[سيدي] ، هذا التقرير. هم يجب عليهم أن يجلبوهُ لي. أو إذا هو لم يكون.....وصادفَ أنهُ كان هناك رجلاً في رفقته هو يمكن أن يُستغنى عنهُ ، دعْهُم يُعطونهُ إليه ، ودعْهُ يجلبهُ. ويجب أن يكون هناك (فارس)(مُقاتل) لحمايته أو لحراسته". [1]

سادساً: نشاط الاستخبارات المُضادَّة:

كان لنشاطات الاستخبارات المُضادَّة دورٌ فعَّالٌ في حماية وحفظ المعلومات وسريَّةَ عمليات الاستخبارات الخاصة. بينما كان الآشوريونَ يجمعونَ معلومات العدو ، أعداءهُم كانوا أيضاً يجمعونَ المعلومات. لقد اتخذَّ الآشوريون إجراءات وتدابير للوقاية والحذر ضدَّ نشاطات استخبارات العدو ، مثل ضمان وتأمين استخباراتهم الخاصة ، وإعاقة نشاطات جواسيس العدو والاستمرار في مراقبة نشاطات الخونة والعملاء.

إنَّ تأمين أو تجنيد العُملاء ضمن صفوف العدو كان الإجراء والتدبير الفعَّال للآشوريين لجمع المعلومات الاستخباراتية. على أية حال ، إذا انكشفت هوية العميل وتعرَّضت للخطر ، عندها يتم قطع وإنهاء قناة جمع المعلومات منه. لذا فقد عمل الآشوريون على حفظ وحماية هوية العميل من إفشائها.

إنَّ الرسالة المُتجزأة المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري رقم: (SAA I،14–r.1 :13) تُبيَّن كيف أنَّ الآشوريين قاموا بحماية وحفظ هوية العميل من إفشائها وفضحها وذلك بالاتصال به سراً: " [إذا....] إلى [....] ، هم يجب أن يقتلوهُ ، هم يجب أن يجمعوا معلومات أيضاً عن العدو ويأتوا ويُخبرونَهُ إليك. ينبغي على هذا العميل [....] أن يأتي إليكَ شخصياً أو يجب أن يُرسلَ رسولهُ إليك ، هو لا يجب أن يكون مسموحاً لهُ بالدخول ، تكلَّم معهُ خارج المُعسكر. أنتَ تعرف بأنَّهُ خائن ، هو يعتبرُكَ [....]. إنَّ أي تضحية أو مساومة في المنطقة [....] إليك[....]".([2])

لم يعمل الآشوريونَ على اكتساب الاستخبارات من المُخبرين فقط ، بل عملَ كذلك أيضاً أعداء الدولة الآشورية. لقد نفى الآشوريون الأشخاص الخاضعونّ لسيطرتهم عادةً إلى مكان آخر ضمن الإمبراطورية. وعلى الرغم من احتمالية أن يكون من بين هؤلاء المنفيين مُخبرينَ للعدو. لذلك اعتنى الآشوريونَ بهؤلاء المنفيين. فالرسالة المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري رقم: (SAA V،172) ، من(أبات–شاري–أُصور) (Abat–šarri–uṣur) إلى الملك ، تُشير إلى هؤلاء

(1)-Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp69.
([2])Ibid , p.69.

الأشخاص عديمو الثقة و كان يتمُ مُراقبتهم سراً: " إلى الملك ، سيدي: خادمُكَ (Abat–šarri–uṣur) الصحة الجيدة للملك ، سيدي! بالنسبة إلى الكلداني(نابو–إيريش)(Nabû– ereš) حول من الملك ، سيدي كتب لي: " هو يجب أن يُراقب سراً" اللحظة أو الفترة ذاتها التي قام الملكُ ، سيدي ، بالكتابة لي ، أنا أرسلتُ (رسالة) ، وهم كانوا عندها يُراقبونَهُ سراً". [1]

لقد أرسل الآشوريون جواسيسهم إلى أرض العدو لجلب المعلومات وبالمُقابل كذلك كان يعملُ خُصومَهم. وقد اتخذَّ الآشوريون إجراءات وتدابير للتعامل مع جواسيس أعدائهم ، كما يمكن مُشاهدة ذلك في الرسالة التالية رقم:(SAA V :12 " [بالنسبة إلى....] [ḫubuškian] ، الجواسيس الذين أنا أرسلتُهم عادوا من فورهم. [بالنسبة إلى الأورارتيين] الجواسيس حولي الملك سيدي ، كتب لي: " هل قائد الحصن [لم] يُمسك بهم بعد؟".[....] (ḫubuškian) [....] قال:" أيَّ جواسيس يَحموَّنَ أو يصونونَ أنفسهم [بدخولهم إلى البلدات والمدن] ، نحنُ سوفَ نُرسلُ [إشارة نار في بلادي]".([2])

وهذه الرسالة المُتجزأة تُشيرُ بأنَّ الآشوريين كان لديهم على الأقل اثنَّيْن من خطوط الدفاع لمنع جواسيس الأورارتيين. إنَّ خط الدفاع الأول عن الدولة الآشورية يشتمل الحاميات على الحدود ، التي من الممكن أن تُعيقَ وتمنع جواسيس العدو من الدخول وذلك بالتحقق من الأشخاص الداخلين إلى الدولة الآشورية. وأمَّا الخط الدفاعي الآخر فكان مؤلفاً من الدول والمدن التابعة ،الذين كانوا يبعثونَ بإشارات إلى الآشوريين عن دخول جواسيس الأورارتيين وذلك عن طريق إرسال إشارات على شكل شعلات من النار. [3]

الخاتمة والنتائج:

– كان الجيش هو هدف الدولة الآشورية الأول ، لذلك أنشأت آشور جهازاً عسكرياً لم يعرف التاريخ القديم مثلاً له.

– كان لنتيجة هذا التطور الكبير للجيش الآشوري في الألف الأول قبل الميلاد واتساع رقعة الدولة الآشورية الأمر الذي دعا إلى وجود التخصص في المهام العسكرية ، فقد ظهرت صنوف وتخصصات عديدة للجيش منها نظام الاتصالات وأمن المعلومات.

– حظي نظام الاتصال ونقل المعلومات بمتابعةٍ حثيثةٍ من قبل الملوك الآشوريين وحُكَّام المقاطعات والمدن والأمراء وقادة الجيش الآشوري على حدٍ سواء. لما لها من أهميةٍ ودورٍ كبيرٍ في التخطيط العسكري للجيش الآشوري حينها ، سواء في الإعداد للحملات العسكرية الهجومية خارج حدود الدولة والسيطرة على أراضٍ ومدن جديدة ، وتحقيق عنصر المُباغتة والمفاجأة على قوات الخصم ، وبالتالي النجاح في كسب المعركة والوصول إلى الأهداف المنشودة منها

(3Ibid , p.70.
([2]) Honggeng,G.o.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire,pp70.
([2])-Ibid , p.70.

لصالحهم. أو الوقوف على ما يجري من أحداث ونشاطات غير معلنة في المقاطعات المجاورة و المتاخمة لحدود الدولة الآشورية ، والمدن ، والحصون ، والتي يمكن أن تؤثر على زعزعة الاستقرار والسلام داخل وخارج الدولة الآشورية.

– كان نظام الاتصال ونقل المعلومات المعمول به داخل المؤسسة العسكرية هو أحد أهم الفروع التي كان له دورٌ بارزٌ وفعال ضمن صنوف ووحدات الجيش الآشوري ، كما يتضح من دراسة المصادر الأساسية والنصوص ذات العلاقة ، والذي يقابله في عصرنا الحالي سلاح الإشارة المُتبع في الجيوش الحديثة في أيامنا هذه.

المصادر والمراجع

- الياس سلطان ،(عبد العزيز): عوامل أساسية أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية_، مجلة دراسات موصلية العدد(29) أيار ،2010م.

- أوبنهايم ، (ليو): بلاد ما بين الرافدين ، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق ، بغداد ،1981م

- باقر، (طه): مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،ج1 ،ط2 ، دار الوراق للنشر ، بيروت 2009م

- برستد ، (جيمس هنري): انتصار الحضارة ، ترجمة: احمد فخري ، القاهرة 1955م

- حياوي غزالة ، (هديب) وثامر المهنا ، (رشا) : مجد الدولة الآشورية في العصر الحديث (911-612ق.م) ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية مجلد 11 ، العدد 4 ،2008م.

- خليل إسماعيل ، (بهيجة): الجيش في العصر الآشوري_، موسوعة الموصل الحضارية ،ج1 ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ط1 ، 1991م.

- ساغز ، (هاري): عظمة آشور ، ترجمة : خالد أسعد عيسى واحمد غسان سبانو ، دمشق2002م

-سمير،(عماد)، "نصوص المعاهدات والعلاقات الدولية في محفوظات إبلا" ،مجلة دراسات تاريخية ،جامعة دمشق،العددان123-124-2013 م

- سليمان ، (عامر): الجيش والسلاح في العصر الآشوري ، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد 1988م.

- سليمان ، (عامر): منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد (العصر الحديث) ، موسوعة الموصل الحضارية مج1، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ط1 ، 1991م.

- سليمان ،(عامر): العراق في التاريخ القديم ،ج1، موجز التاريخ السياسي ، الموصل 1992م

- سليمان ، (عامر) ، والفتيان ، (احمد مالك): محاضرات في التاريخ القديم ، بغداد 1978م.

-شريف ، (ابراهيم): الموقع الجغرافي للعراق وأثرهُ في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي ، مطبعة شفيق ، بغداد.

-رشيد ، (فوزي): الجيش والسلاح ، موسوعة حضارة العراق ، العصور القديمة ج2 ، مطبعة الحرية ، بغداد 1985م

- الصالحي: (صلاح رشيد): القبائل السيميرية والاسكثية ، الردع الآشوري والأخميني ضد القبائل الهندو-أوربية ، الكتاب العلمي السنوي لمركز إحياء التراث العلمي العربي ، العدد ،2 ، جامعة بغداد 2010-2011م

- فرح ، (نعيم): معلم حضارات العالم القديم ،دمشق 1973م .

- قابلو ، (جباغ) و سمير ، (عماد): تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين-سوريا-مصر) ، منشورات جامعة دمشق 2007-2008م.

- قابلو ، (جباغ): التنافس الآشوري الأورارتي للسيادة على الشرق القديم خلال النصف الأول من القرن التاسع والقرن الثامن ق.م، مجلة دراسات تاريخية، العددان 71-72 ، كانون الثاني-حزيران ، دمشق2000م.

-عطية الزيدي ، (كاظم عبد الله): "بلاد سوخو في الكتابات المسمارية" ، رسالة دكتوراه منشورة ، بإشراف الأستاذ الدكتور: جابر خليل ابراهيم ، جامعة بغداد 2006م

- عبد الله ،(يوسف الخلف): الجيش والسلاح في العصر الآشوري الحديث ، رسالة ماجستير منشورة ، بغداد 1977م.

- علي ، (فاضل عبد الواحد وآخرون) ، العراق في التاريخ ،وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1983م.

- الحسيني ، (خالد موسى): القانون وإدارة الدولة في وادي الرافدين ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ،2002م.

- الشيخلي ، (عبد القادر): الإدارة والسياسة ، العراق في موكب الحضارة ،ج1 ،مطبعة شفيق ، بغداد 1988م.

- مرعي ، (عيد): تاريخ مملكة إبلا وآثارها، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2015م

المراجع والمصادر الأجنبية:

- A.T.Olmstead،History of Assyria،Chicago and London: The University of Chicago press،1925، reprint in 1975.

- A.K.Grayson،Assyrian Royal Inscriptions،Vol.II، W.Germany،1976

-Brinkman،J.A. "Elamite Military Aid to Merodach Baladan" in JENS 24.No.3. Chicago.1965.pp161.

-M.Bonechi،I nomi geografici dei testi di Ebla،RGTC 12/1،Beiheftzum TAVO،ReiheB

-Kupper.J.R، les nomads en Mesopotamie au temps des Rois de Mari ،Paris ،1957

-H.W.F.Saggs،The Might That Was Assyria،London: Sidwick and Jackson،1984

- Honggeng،Guo.The Assyrian Intelligence Activities during the Assyrian Empire، in Journal of Assyrian Academic studies ،Vol.18،no.2،2004

-Jean ،C.F."Ḫammuropi ´ d´ après des lettres in èdites de Mari(= ARM 3 8)" ،RA 35,

-J.M.Sasson ,The Military Establishment at Mari،Rome: pontifical Biblical Institute،(studia poh13)،1969.

- K.Kesser، Royal Roads and other questions of the Neo-Assyrian Communication system، in S.Parpola and R.M.Whiting (Hrsg)،Assyria 1995

- Follet،Deuxiéme bureau et information diplomatique dans L'Assyrie des Sargonides quelques notes، RSO 32(1957) .

- Intelligence and Counter-intellignece،in: Encyclopaedia Britannica، - Vol.21،Chicago:Encyclopaedia Britannica،Inc.،1985.

-Oppenheim ،A.leo." Letters from Mesopotamia" The University of Chicago press publication 1967.

مختصرات أسماء الدوريات والمجلات الأجنبية المستخدمة في هذا البحث:

- SAA= State Archives of Assyria (Helsinki)

- SAAS: State Archives of Assyria Studies (Helsinki)

- Bi.Or=Bibliotheca Orientalis

- JANES=Journal of the Ancient Near Eastern Society

- JAOS= Journal of American orient Society

- Iraq= British School of Archaeology in Iraq (1970)

The intelligence system prevailing in the military establishment of the modern Assyrian state

(an analytical historical study 911-612 BC).

Dr. Ahmad Shababibi([1])

Abstract

This research deals with the intelligence system and means of communication used within the military establishment in the era of the modern Assyrian state، as these methods and means were closely followed by the Assyrian kings، governors of provinces and cities، princes and leaders of the Assyrian army alike. Due to their importance and major role in the military planning of the Assyrian army at that time، whether in preparing for offensive military campaigns outside the borders of the state and controlling new lands and cities، and achieving the element of surprise and surprise on the enemy forces، and thus succeeding in winning the battle and reaching the desired goals in their favor. Or standing on the events and undeclared activities taking place in the neighboring provinces and adjacent to the borders of the Assyrian state، cities، and fortresses، which could affect the destabilization and peace inside and outside the Assyrian state.

Key words : Assyrian army ، Intelligence ، Communication channels ، rab dyalû.

(1)Doctor and researcher in the history of the ancient East, Damascus, Syria.